

التّضمين الدّلالي والتّداولي في جريدة البصائر لجمعية العلماء المسلمين

Semantic and pragmatic embedding in the Insights newspaper of the Association of Muslim Scholars

نميسي أمال

جامعة باجي مختار عنابة/ الجزائر same191@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2026/10/14

تاريخ القبول: 2023/10/03

تاريخ الاستلام: 2022/07/12

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن خصائص العناصر اللغوية والتضمينات الدلالية لخطابات جمعية العلماء المسلمين في علاقتها بالسياقات الخارجية والأبعاد الإصلاحية من خلال جريدة البصائر في سلسلتها الأولى والثانية وفق مقارنة تداولية لغوية.

وقد أفضت هذه الدراسة التي حاولت من خلالها الكشف عن إمكانية التداولية في اقتحام عالم الأدب الإصلاحي إلى أنّ لغة الخطاب الإصلاحي تمتاز بإحالاتها السياقية؛ فكل الألفاظ والتراكيب التي يعبر بها المصلحون عن أفكارهم مقترنة بسياقها المناسب، وأن مفهوم الأدب في جريدة البصائر لم يقف عند حدود القول، بل تعداه إلى ما يعرف بالإنجاز الذي كان في أغلبه تقريرياً وتوجيهياً؛ فالتقرير يبرز من خلال قرائن الإنبات التي تمّ الوقوف عليها أثناء عملية التصنيف، والتوجيه من حيث مساهمته في عملية التغيير، لتكون لغة الخطاب في جريدة البصائر من المنظور التداولي نوعاً من الفعل.

الكلمات المفتاحية: الأدب، الإصلاح، السياق، التأثير، الإنجاز.

Abstract:

This research seeks to reveal the characteristics of the linguistic elements and the semantic implications of the discourses of the Association of Muslim Scholars in their relation to external contexts and reformist dimensions through the Insights newspaper in its first and second series according to a pragmatic linguistic approach.

This study, through which I tried to reveal the possibility of deliberation in breaking into the world of reformist literature, has led to the fact that the language of reformist discourse is characterized by its contextual references; All the words

and structures with which the reformers express their ideas are associated with their appropriate context, and that the concept of literature in the Insights newspaper did not stop at the limits of saying, but went beyond it to what is known as achievement, which was mostly declarative and directive; The report emerges through the evidence that was found during the classification process, and the guidance in terms of its contribution to the change process, so that the language of discourse in the Insights newspaper from the deliberative perspective is a kind of act.

Keywords: Literature, reform, context, influence, achievement

نيسبي أمال، same191@yahoo.fr

1. مقدمة:

لقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أهم الحركات الدَّعوية التي أولت النشاط الصحفي أهمية بالغة؛ حين سَخَّرت مضمونه بما يَمَكِّنُها من النُّهوض بالمجتمع الجزائري، ورفع أنواع الجهل عنه، ومن ثَمَّ السَّير به قدماً نحو العلم والاستقلال، وقد تمَّ تحقيق هذه المنجزات وفق خطة منهجية مرسومة ما زلنا اليوم في حاجة للكشف عنها حتى نواصل مسيرة الدَّعوة الإصلاحية، وهذا ما دفعني للكشف عن خصائص الأدب الصحفي عند جمعية العلماء في علاقته بالإصلاح، وذلك للإجابة عن عدَّة تساؤلات تكون في مجملها محاوراً رئيسة للبحث، وهي كالتَّالي:

- كيف أدى الاهتمام بالإصلاح عند جمعية العلماء إلى بلورة نشاط صحفي انبنت عليه التَّجربة الإصلاحية في جرائدها لاحقاً؟ وإلى أي مدى استطاعت جريدة البصائر أن تؤطِّر الممارسة الإصلاحية ضمن نطاق صفحاتها الأدبية على الرِّغم من كونها صحيفة أقرب إلى العمومية الفكرية الثقافيَّة؟

- ما دور المخاطب والمخاطب والسِّياق في بناء الخطاب البليغ؟ وما خصائص الخطاب الإصلاحي عند جمعية العلماء في علاقته بالبنية اللُّغوية والدَّلالية والإقناعية؟

- كيف يتحوَّل المقال الأدبي أو القصيدة الشَّعرية إلى فعل لغوي مركزي في ظلِّ سياقات خارجية؟

ولكوني أحتاج إلى تفسير نصوص جمعية العلماء، والوقوف عما تحويه من قِيمَ تغييرية أكثر من وصفها، اعتمدت على المنهج التداولي باعتباره استراتيجيه مهمة في تحليل الخطاب الأدبي لجمعه بين البنائية والسِّيَاقية والوظيفية، في الوقت الذي باتت فيه الحاجة إلى تفسير الظواهر أكثر من وصفها؛ لأن الوصف يعزل الأثر الأدبي عن المجتمع والتَّاريخ، فهل بمقدورنا إذن أن نركن إلى المعنى الحرفي في قراءتنا للخطاب الادبي الاصلاحى وفق مقاربة تداولية؟

ما من شك في أنَّ الدِّراسات السَّابِقة التي أُجريت حول الجهد الإصلاحي لجمعية العلماء كثيرة، ولكون المقام لا يَتَّسع لذكرها كُلِّها، ولا لعرض فحواها ارتأيت أن أستعرض عِيَّات منها على سبيل المثال لا الحصر؛ فمنها:

◀ كتاب (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر)؛ وقد هدف "أحمد الخطيب" من خلاله إلى المساهمة في التَّعريف بالحركة الإصلاحية الَّتِي قادتها جمعية العلماء المسلمين خلال فترة تاريخية حرجة من تاريخ الجزائر المعاصر، وقد اعتمد في ذلك على المنهج التَّاريخي.

◀ كتاب (الأبعاد الموضوعية والخصائص الفنية في سجينات شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1954-1962م)، وقد عالج فيه "محمد زغينة" أزمة شعر السُّجون إبان ثورة التحرير، متناولاً القضايا الكبرى في شعر السُّجناء والمعتقلين بالشرح والتَّعليل، ومستنتجاً أنَّ أهم هذه الأبعاد هو البعد الإيماني، كما حاول فيه المؤلِّف دراسة الخصائص الفنية لهذا الشَّعر من حيث الصُّورة الفنية والموسيقى.

◀ كما نلني دراسة "الأحلام بالولي"، بعنوان (بلاغة اللُّغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر نموذجاً)، وكان الهدف منها الكشف عن التَّشكيل اللُّغوي والبلاغي في مقالات عيون البصائر وفق منهج جمالي.

وتحاول دراستي قراءة الخطابات الَّتِي قدَّمها مصلحو جمعية العلماء ضمن جريدة البصائر وفق منظور لغوي تداولي، لتبيين كيف ينطلق حُلم المصلح إلى فكرة، ثم يعبر عن الفكرة بكلمات، ثم يصوغ الكلمات في قوانين وبرامج، وإن تحقَّقت البرامج يكون المصلح حينها فقط قد بدأ بكلمة وانتهى بفعلٍ.

2. الأدب الإصلاحي وجريدة البصائر:

الأدب نتاج المجتمع، وواحد من الظواهر التي تعكس حركة الناس فيه، والصحافة إحدى وسائل الاتصال بين أفراد المجتمع، وهي تعكس ما يستجد في المجتمع في الجوانب السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية والثقافية؛ لذا حظيت الصحافة المكتوبة بمكانة مرموقة لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين؛ حيث أنشأ علماء الإصلاح في جمعية العلماء جرائد تكون اللسان الناطق بحالهم، وكانوا كلما أغمد الظلم لساناً من جرائدهم، سلوا لساناً أشد من سابقه، وبقيت (جريدة البصائر) تشق الطريق نفسه لمدة طويلة، وتمتد السلسلة الأولى ما بين 1935م إلى 1939م في شكل جريدة أسبوعية تولّى إدارتها ورئاسة تحريرها "الطيب العقبي" إلى سنة 1937م، ثم خلفه الشيخ "مبارك بن محمد الميلي"، وقد استوحت شعارها من الآية الكريمة ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَٰ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ولكنها أوقفت بسبب الحرب العالمية الثانية عند العدد 180 الصادر في 25 أوت 1939م.

ويدفعنا هذا الإنتاج الفكري الضخم إلى القول بأنّ الاتجاه الإصلاحي يعدّ من الاتجاهات القليلة التي تمتلك مشروعاً فكرياً جاداً وثابتاً أمام ما اعترض طريقها من صعوبات وعراقيل.

وبغية إثبات أنّ نصوص (البصائر) هي خطابات أدبية محمّلة بقيم جمالية ومعرفية تشكّل عماد البنية الأدبية فيها، حاولت من خلال هذا البحث الكشف عن محور التضمين (L'inclusion)¹ الذي يمكن أن يُعثر عليه في قلب الأعمال الأدبية المتميّزة لجمعية العلماء وفق مقارنة تداولية قائمة على تناول دلالة الخطاب، والتداولية (La pragmatique) هي مقارنة "ترصد حركة الأدلة اللغوية في اتصالها بظروف الاستعمال، وسياقات التلقي التي تحفّ هذا الخطاب"²، ما دام كلّ عمل أدبي يعني تواصلًا بين مبدع ومتلقٍ، ومن ثمّ محاولة إبراز مدى فعالية الأسلوب اللغوي في الإصلاح، وإيصال الفكرة لدى كتّاب جمعية العلماء المصلحين.

3. السياق بين التضمين الدلالي والبعد التداولي:

أخذ السياق (Le contexte) بُعداً هاماً في اللسانيات التداولية، ويقصد به "التركيب الموقف الذي ترد فيه الكلمة، ويسهم في تحديد المعنى المتصوّر لها"³؛ ذلك أنّ الإنسان يتخاطب مع غيره

ضمن مواقف اجتماعية مختلفة تحدّد الأسلوب الذي يقتضيه المقام، ومن هنا تطلّب بحثي تحليلاً للسِّياقات والمواقف الخاصة التي ترد فيها خطابات البصائر،

1.3 السِّياق غير اللّغوي: ويقصد به "ما ينتظم القرائن المقامية الّتي تفسّر الغرض الّذي جاء النص لإفادته، سواء أكانت قرائن في الخطاب ذاته، أو في المتكلم، أو في المخاطب أو في المجتمع"⁴، وبالعودة لجريدة البصائر نجد أن السِّياق غير اللّغوي يحيل على كل ما يحف خطابات الجمعية من عوامل تاريخية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو نفسية، أو اجتماعية...، والّتي تنعكس على مدلولات الخطاب، ومنها:

(أ)- **السِّياق الدِّيني:** ومن مظاهره تخصيص الدّلالة اللّغوية، كقول "أحمد سحنون": "قال عليه الصلاة والسلام: (إِذَا وُسِدَ - أُسِدَ - الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرُوا السَّاعَةَ)، ينبهنا هذا الحديث العظيم إلى علة مبيدة متلفة، من عللنا الاجتماعية المختلفة وهي قيام نهضتنا على جهاز تندس فيه بعض العناصر التي لا تصلح لأن تكون في الأساس، لأن الأساس يجب أن يتكون من حجارة قوية صلبة تثبت بما يقوم عليها"⁵؛ حيث استعان الكاتب بحديث لمحمد (صلى الله عليه وسلم) دوغما تصريح باسمه على افتراض أنّ التّعبير ينصرف بمعونة السِّياق إلى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهذا لأن الأديب قرّب بين أفكاره وما أوثر عن الجماعة الّتي يخاطبها، لما لآثار السّلف من قوّة إيجابية تركها على نفوس الخلف؛ وبالتالي يكون كلامه واقعياً، وتحقّق الإفادة من ورائه.

(ب)- **السِّياق الاجتماعي:** من أهم القضايا الّتي استرعت انتباه المصلحين اجتماعياً هي قضية منع تعليم المرأة الجزائرية أيام الاحتلال؛ حيث انتفض "حمزة بوكوشة" لوضعها فقال: "والخلاصة أن الذين يحولون بين المرأة وسماع الوعظ والإرشاد والتعليم يجادلون بغير بينة ولا هدى ولا كتاب منير، والذي حدا بهم لذلك مغالطة الدهماء بإظهار الغلو في الدين، مع أنهم أبعد الناس عن إتباع الدين"⁶.

يقف القارئ في هذا القول على أسلوبين من أساليب التّهمك الهادف؛ أولهما المقارنة بين أمرين متباينين يجمع بينهما قاسم مشترك يبعث على السّخرية، فالقاسم المشترك بين ترك المرأة أمية، وجعل المنكر مباحاً هو الابتعاد عن الدِّين الصّحيح، والثّاني يتمثّل في توظيف الصّيغ التّهمكية؛ لأن المراد باسم (الدهماء) هنا هم (الفقهاء المتزمتين)، والهدف من هذين الأسلوبين إقناع القارئ ضمناً بوجود تعليم المرأة الجزائرية تعليمًا يليق بوظيفتها الأسرية النّبيلة الّتي خلقت لأدائها.

(ج) - **السِّيَاق التَّربُوي:** اهتم المصلحون بالتَّربية، لذلك شدّد عليها "محمد البشير الإبراهيمي" في حديثه عن الشَّاب المسلم: "أتمثله عف السرائر، عف الظواهر، لو عرضت له الرذيلة في الماء ما شربه، وآثر الموت ظمأ على أن يرد أكدارها، ولو عرضت له في الهواء ما استنشقه، وآثر الموت اختناقاً على أن يتنسم أقدارها".⁷

قدّم "البشير الإبراهيمي" المعنى الضمّني للأخلاق في صور مختلفة، لا بدافع الحشو، "والإبهام حينما يورد متبوعاً بالإيضاح، يحجب قيمة بلاغية تثبت للخطاب غايته"⁸، والهدف من هذا الإطناب التأكيد على تجنب الرذائل لإنشاء جيل قويّ.

ومن أمثلة أيضاً قول الشاعر "محمد العيد آل خليفة" للشُّباب:

يَا شَبَابِ انْجِهْ إِلَى الشَّرِّ وَاحْفَظْ كُلَّ كَنْزٍ لَكَ إِلَيْهِ انْتِسَابٌ⁹

نادى الشاعر فئة الشُّباب وهذا دليل على رسالته التَّربوية، حين دعاهم إلى الاحتكاك بالمشرق العربي، بالتنقّل إليه أو بقراءة أفكاره الإصلاحية المستمدة من فجر التَّاريخ الإسلامي في سبيل تحرير الوطن علماً وعملاً.

(د) - **السِّيَاق التاريخي:** ويتجلّى في قول "محمد بن مبارك الميلي": "بزغت شمس التَّاريخ الإسلامي في سماء الدولة العربية إثر ظهور الإسلام كبقية العلوم الدينية والثقافات الإسلامية المختلفة التي نشأت بين أحضان الدين الجديد، ونمت تحت رعاية رجاله وحاملي لوائه من المحدثين ورواة المغازي والسير إلى غير ذلك من كل ما يمت إلى التَّاريخ بسبب أو يفضي إليه من طريق مباشر أو غير مباشر".¹⁰

ذكر الأديب كلّ ما يجب ذكره عن التَّاريخ الإسلامي وخصائصه، فلم يترك صغيرةً ولا كبيرةً إلّا وأحصاها، وهنا يتيقن المتلقي بأن الكاتب قدّم ضمناً كلّ المعلومات اللازمة عن ماضيه الأصيل، فيسعى إلى حفظ تاريخه والاعتزاز به.

(هـ) - **السِّيَاق السِّيَاسي والقومي:** ويتجلى لنا حين عارضت جمعية العلماء سياسة الإدماج التي كانت تطالب بها فيدرالية المنتخبين الجزائريين، وهذا ما يتبيّن في تصريح "عبد الحميد بن باديس": "إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصبح فرنسا، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها، وفي أخلاقها، وفي عنصرها، وفي دينها، ولا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود معين، وهو الوطن الجزائري".¹¹

يمنح القول للقارئ قدرةً على استنتاج دلالات ضمنية قد لا يظهرها صريح الخطاب؛ إذ يعدّ هذا الحكم ذا شمولية دلالية من حيث القيم والأفكار؛ بحيث يستقل كل لفظ بحمولة دلالية قائمة بذاتها، حتى الألفاظ (إنّ، لا، بل، في) ورغم كونها حروفاً ترقى إلى مستوى اللفظ المستقل بنفسه عن غيره. كما يُلاحظ ضمناً بأن القول يقوم على ثنائية متلازمة تتمثل في الشعب الجزائري المسلم والعروبة؛ لأن الدلالات الكامنة في الشعب الجزائري المسلم لا تتعارض ولا تتباين مع انتسابه إلى العروبة، ومن هنا نقول أنّ خطابات جمعية العلماء كانت تهدف إلى بعث الأمة الجزائرية لتعود إلى مرحلة الشهود الحضاري والقوة.

وأما في السياق القومي فقد جعل المصلحون من المشكل الفلسطيني إحدى قضايا الساعة، وأبرزوا ذلك في مقالاتهم كقول "الطيب العقبي"، و"ابراهيم بيوض"، و"محمد البشير الإبراهيمي": "نحن نعتقد أن ميدان القتال بين العرب وبين اليهود هو فلسطين، أما الجزائر وغيرها من بقية أقطار العروبة فهي ميادين شعور وأخوة، يشعر فيها العربي بمحنة أخيه في فلسطين فيعطف عليه، ويعينه على ظلمه".¹²

يتضمن هذا القول معلومات ضمنية، الغاية منها إقناع المتلقين بضرورة أن يعملوا من الصّالحات لهم وللفلسطين ما يطفئ الغضب ويدفع الشرّ، وهذا ما يثبت أنّ المصلحين اعتبروا معضلة فلسطين قضية العالم العربي الإسلامي أجمع.

ونزعت جمعية العلماء في خطاباتها نزعةً إنسانية، فنقف على مخاطبة الإنسان في قول "الطيب العقبي": "فيا أيّها الإنسان العاقل، وأيّها المخلوق المدرك الحساس المفكر، هل فكرت يوماً في نفسك وفي الآفاق، وهل اهتديت بتفكيرك إلى الكريم الخلاق؟"¹³ كزّر المصلح النداء للإنسان حتى يتمكن من إثارة اهتمام المتلقي حول رسالته الإنسانية وإبلاغ الفكرة، وبالتالي حصول الإقناع.

2.3 الأنماط اللغوية والبعد التداولي:

لكون أدب جمعية العلماء أدبٌ ناضج وثرٍ، فإنّ من أنماطه وخصائصه اللغوية:

(أ) - **الأسلوب الخطابي:** لطالما قال "ابن باديس": "أنّ من الحكمة أن لا تجعلوا بينكم وبين العامّة حجاباً كثيفاً إذا أحببتهم هدايتهم"¹⁴ إذ ينبغي محادثة العامة برفقٍ، ومخاطبتهم مخاطبة الإخوان لهم، حتى يكون التأثير بدون إعنات ولا إنهاك، ومن أمثلة هذا الأسلوب قول "عبد الكريم العقون":

وَيَا شَعْبُ وَلِ وَجْهَكَ الشَّرْقُ وَاعْتَبِرْ بِجَامِعَةِ الْعَرَبِ الْمُوَحَّدَةِ الرِّكْبِ
فَيَجْمَعُنَا دِينَ وَخُلُقٌ وَعَادَةٌ وَمَجْدٌ تَلِيدٌ لَا يَمِيلُ إِلَى غَرْبٍ¹⁵

يبين الشّاعر وبطريقة إخوانيّة أنّ القبول بالتعدّدية الحزبية في ظلّ ثوابت الإسلام ضرورة تاريخية يفرضها الواقع العربي لتجاوز الفتنة بين العرب.

وقد يتغيّر الأسلوب إلى الشّدة والصّرامة إذا كان في مسألة تتعلق بالدين أو بالأُمّة الجزائرية، مثل قول "ابن باديس": "وكل طريقي أو غير طريقي يكون أذنا سماعة، وآلة مسخرة فلا هواده بيننا وبينه حتى يتوب إلى الله، قد نبذنا إليكم على سواء (إن الله لا يحب الخائنين)"¹⁶، وقد غيّر هذا الوعيد من وضع بعض الطّريقين و"جعلهم أفراداً معيّنين بما يحدث، وأشعرهم بأن واجبهم هو أن ينهضوا وتندمجوا في صفوف الإصلاح لا بالانصياع والتلقّي السّليبي، ولكن بالبدار والتّصدي العازم"¹⁷، ولأجل هذا التّغيير أقامت جمعية برنامجها الإصلاحي على إصدار الصّحف والمجلات السيّارة التي تهمّ الأكثرية المطلقة من الشّعب الجزائري، الّذي كان يفتقر إلى أبسط وسائل التثقيف والإرشاد.

(ب)- الاستعراض: وهو "نسيج استنتاجي شديد الاتسام بضمنيات القول، يتمّ فيه استعمال نسبة هامة من المسانيد المتعلقة بـ"الأنا"، كما تتم فيه مقاطعة تسلط الحوار المتجه تحديداً نحو المكتسبات السّابقة مع تواتر تلك المكتسبات"¹⁸؛ أي أنّ الاستعراض يقوم على مدى تبين المخاطب أنّه يعرف نتائج مشكل ما مسبقاً، فيقع بذلك نفي ملفوظات المتلقي، ويرتفع عدد الأسئلة المغلقة...؟، ومن أمثلة الاستعراض اللّغوي قول "محمد الشبوكي": "وليس المقصود من كلمة التربية ذلك المعنى الضيق الذي لا يتجاوز إرهاب الطفل وإكراهه على الخضوع إلى قوانين المدرسة خضوعاً لا يجد معه لذة ولا يتنشّق فيه عبير الحرية، بل المقصود بالكلمة معنى أوسع وأسمى وأعظم خطراً من ذلك، ولعلي لا أكون مخطئاً إذا قلت: إن هذا المعنى هو توجيه الطفل إلى الصّلاح بأساليب تملّوها شخصية المعلم نفسه".¹⁹

نستكشف من خلال هذا الأسلوب الاستعراضي جملة القوانين الضّمّنية الّتي تجسّد المفهوم الأصحّ للتّربية، وهي الرّعاية الشّاملة والمتكاملة لشخصيّة الطفل من جوانبها الثلاثة؛ الأخلاقي والعقلي والاجتماعي، بهدف إيجاد فرد متوازن.

ولكون كتابات "محمد بن مبارك الميلي" تمتاز بدقّة التحليل وعمق التفكير، نجده في مقالة (نشأة التاريخ الإسلامي) يصف مرحلة تاريخية كانت الحضارة الإسلامية فيها متقدّمة، وذلك بقوله: "لقد كان التاريخ الإسلامي وليد تلك الحضارة التي أسفرت عنها الدعوة المحمدية، والتي أنشأت ما أنشأت من علوم وفنون غالبت القرون والأجيال، وفي طليعتها التاريخ الذي لا يزال إلى الآن ينبوعاً فياضاً لا نستطيع الاستغناء عنه..."²⁰ استعرض المصلح سمات البلاد العربية الإسلامية حين كانت أعجوبة حضارية غير مسبوقة، وكانت هذه الفترة هي فترة تأسيس العلم في العالم، مثل هذا الاستعراض غرضه الضمني الدعوة لإحياء التاريخ الإسلامي من جديد.

(ج)- التركيب الكنائي: تتكلم الكناية بشيء وتريد به غيره، ويكون ذلك لغرض من الأغراض، كالإبهام على السّامع ونحوه؛²¹ أي أنّ الكناية تقوم على ترك التصريح إلى ذكر ما يلزمه، ومن أمثلتها قول "البشير الابراهيمي" في قصيدته (ذكرى 8 ماي):

يَا يَوْمٌ لَمْ تُشْرِقْ شَمْسٌ عَلَى مِثْلِكَ
ءَالُ الضُّحَى مُغْرَقٌ وَالْمُلْتَجَى مُهْلِكٌ²²

عبّر البيتان بطريقة كنائية عن شدّة الوحشية والخسائر البشرية في الثامن ماي، والهدف من

هذا الأسلوب التّهويل، وإقناع الشعب بالتّصدي للاستعمار الفرنسي.

كما نقف على الكناية في قول "أحمد توفيق المدني": "أُتلف النظام الاستعماري ما كان لها في القديم من وسائل التعليم، وتركها في بيداء التيه، لكي تنسلخ عن دينها، وتنسى عربيتها شيئاً فشيئاً"²³ حيث كانت عبارات (تركها في بيداء التيه)، (تنسلخ عن دينها)، (تنسى عربيتها شيئاً فشيئاً) كنايةات تؤكّد أنّ الحكومة الفرنسية تتعمّد المماطلة في الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية حتى تمحو الشخصية العربية الإسلامية للجزائريين جيلاً بعد جيل.

ويستعمل "العربي التبسي" اللفظ الكنائي حين يقول: "يتساءل الناس عن هذه الأمة التي يتدفق أبنائها إلى الخارج لطلب مبادئ العلوم الدينية".²⁴ جعل المصلح الجزائريين المهاجرين لطلب العلم سوائلاً متدقّة كنايةً عن الكثرة نظراً لقضاء الاستعمار الفرنسي على معظم مراكز التعليم في الجزائر، وبهذا يحثّ جميع أبناء أمته على إنشاء مدارس تعليمية حرّة في البلاد تغني عن تكبّد معاناة السّفر إلى الخارج.

(د)- **التلميح والتعريض:** التلميح عكس الإظهار، ويبدو لنا هذا النمط اللغوي في قول "ابن باديس": "نعم ليس لنا والحمد لله في الإسلام بعد محمد صلى الله عليه وسلم شخص مقدس الذات والقول يدعي العصمة، ولكن لنا جماعة المسلمين وهم أهل العلم والخبرة الذين ينظرون في مصالح المسلمين من الناحية الدينية والأدبية ويصدرون عن تشاور فيما فيه خير وصالح"²⁵؛ إذ يلّمح القول إلى وجوب أن تضع الأمة الإسلامية بنفسها القانون عن طريق أهل الحل والعقد، وما على الحاكم إلا تنفيذه فقط، فيصبح هناك فصل بين الهيئات الممارسة للسلطة الدينية والسياسية .

ويستمر "ابن باديس" في التلميح عن الحرية في قوله: "أنت أنت الروح السارية في عالم الأحياء، ولئن خفيت بذاتك فقد تجليت على منصة الطبيعة في بسائط الأرض وأجزاء السماء..."²⁶؛ إذ لمّح بقوله (لئن خفيت بذاتك فقد تجليت على منصة الطبيعة في بسائط الأرض وأجزاء السماء) إلى ضرورة الثورة؛ لأن الانتهاكات التي ترتكب يوميا على أرض الجزائر أصبحت أسبابا كافية لقيامها، كما يلّمح بقوله (فأبصرتك عيون اكتحلت بإثم الحقيقة، واقتبست منك عقول صقلت بالعرفان، احتضنتك صدور أنيرت بالإيمان) إلى الشروط الموضوعية والروحية لنجاح هذه الثورة.

(هـ)- **السخرية:** ترى "كاترين كيربات أوركيوني Catherine Krberat Orechioni" أن "السخرية تجمع بين الخاصية الدلالية والتداولية، لكون العلاقة بين المعنى الحرفي الظاهر والمعنى المضمر علاقة تعارض، والبعد التداولي يستلزم حضور القصدية"²⁷ أي أنّها تقوم على التضاد بين طرفي القول، وهنا تأتي أهمية المكون التداولي: المخاطب، والمخاطب والعامل المهدف.

ومن أساليب السخرية تلك التي اعتمدها "أحمد رضا حوحو" في أحد مقاطع مقاله القصصي (ساعة مع الحمار الحكيم)²⁸ حين يقول:

"ورأيت فيما يرى النائم اليقظ حمارا صغيرا لطيفا تبدو عليه علامات الذكاء والنجابة، يطل علي برأسه من وراء مقعدي، فعرفته دون إشكال أو عناء فقد كان حمار توفيق الحكيم برأسه ورجله".

فقلت له: أنت حمار الحكيم فقد عرفتك، فافتزت شفتاه عن ابتسامة عريضة وقال: عرفتني هكذا

بسهولة وبدون إشكال؟

قلت: نعم فإن معاملك لم تخف علي.

قال: فأنا مشهور إذن في بلادكم.

قلت: دون شك ... ومن يجهل حمارا فيلسوفا مثل حضرتك".

جعل الحمار في هذا المقطع القصصي فيلسوفاً مشهوراً، وهي السِّمة التي لا تنطبق مع حيوان لم ينعم عليه الله تعالى بالعقل، ولكنها مفارقة معنوية الغرض منها إبراز مستوى التطور الفكري في مصر - باعتبار أن الحمار يعود لتوفيق الحكيم - لدرجة أن أصبح فيها الحمار على سبيل المبالغة فيلسوفاً مشهوراً!! وعن طريق هذا التمجيد الخرافي للحيوان الأبكم، يستخف "أحمد رضا حوحو" من الواقع الثقافي المتردي في أرض الجزائر آنذاك، نتيجة ابتعاد أهلها عن التطور الفكري الكائن.

4. خاتمة:

ما يمكن استخلاصه من خلال محاور البحث أنّ لغة الخطاب في جريدة البصائر تمتاز بإحالاتها السياقية؛ فكل الألفاظ التي يعبر بها المصلحون عن أفكارهم مقترنة بسياقها المناسب، وإذا كان التفاعل المباشر بين مستخدم اللغة هو المحدّد الحاسم في الوقوف على نجاح التواصل، فإن فعل القراءة هو أساس تفسير وتأويل الخطاب الإصلاحي بما تحويه لغته من الإحالات، فالقارئ هو الذي يضفي دينامية وحركة على الخطاب الذي يقرأه.

كما لم يقف مفهوم التأثير الدلالي في أدب جمعية العلماء عند حدود القول، بل تعداه إلى الإنجاز التقريري والتوجيهي؛ فالتقرير يبرز من خلال قرائن الإثبات التي تمّ الوقوف عليها أثناء عملية العرض، والتوجيه من حيث مساهمته في عملية التغيير، لتكون لغة الخطاب في جريدة البصائر من المنظور التداولي نوعاً من الفعل.

استطاع شعراء الجمعية توظيف لغة شعبية أشبه ما تكون بلغة الخطاب اليومي، وكأنّ همّهم تحقيق متعة تنتهي أسبابها إلى الإقناع بغض النظر عما تزدهم به قصائدهم من صنوف المجاز المختلفة التي قد تقود إلى فهم أعمق للتجربة.

ولكون الإصلاح يقيم تقاطعات كثيرة مع الوضع الراهن أدعو الدارسين إلى مواصلة البحث في الخطاب الإصلاحي الذي يعتبر امتداداً لجمعية العلماء، أولاً من أجل الكشف عن ملامح الإصلاح في وقت ازدادت فيه الأزمات في البلدان العربية، وثانياً لتعويض النقص في الدراسات التي

لها علاقة بأدبيات الحركة الإصلاحية في الجزائر قبل الاستقلال، وهكذا ينهض خطاب الإصلاح بالتزامن مع ثقل منطق الأزمات.

كما أُنْبِئَهُ إلى إمكانية استثمار هذا النوع من التحليل في أنواع أخرى من الخطابات، وحتما ستضفي مآلاً طَبِيباً، لاسيما الخطاب الدِّينِي المِثَالِي المُحَكَّم، أو إلى بعض الأنواع الصَّحْفِيَّة والأجناس الإعلامية الَّتِي يَتَطَلَّب تحريرها امتلاك بعض الخصائص الأدبية كالعمود الصَّحْفِي وغيرها وفق مقاربات لا تحدث قطيعة بين المناهج اللغوية وأنماط التواصل الإنساني.

هوامش البحث:

1. محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، 1952-1954 م، جمع وتقديم نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م، ج4، ص167.
2. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مقارنة بين التداولية والشعر مع محاولة تأصيلية في التراث العربي، دراسة تطبيقية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012م، ص18.
3. فطومة لحماوي: السياق والنص، استقصاء دور السياق في التماسك النصي، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية، جامعة محمد خضرم، بسكرة (الجزائر)، العدد الثاني والثالث، جانفي - جوان 2008م، ص5.
4. نجم الدين قادر كريم الزنكي، نظرية السياق، دراسة أصولية، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2006م، ص63.
5. نجم الدين قادر كريم الزنكي، نظرية السياق، دراسة أصولية، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2006م، ص63.
6. أحمد سحنون: مجد يجب أن يحتذى، جريدة البصائر، السنة الثامنة من السلسلة الجديدة، 1955-1956م، العدد 317-361، المدير وصاحب الامتياز المسؤول محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006م، ج8، ص45.
7. حمزة بوكوشة: قيمة المرأة، السنة الأولى، ديسمبر 1935-جانفي 1937م، العدد من 1 إلى 50، مدير الجريدة ورئيس التحرير الطيب العقبي، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة-الجزائر، ص62.
8. محمد البشير الإبراهيمي: الشباب المسلم كما تمثله لي الخواطر، جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، السنة الثالثة من السلسلة الجديدة، 1949_1950م، عدد 91 - 135 دار الغرب الاسلامي بيروت ط1، 2006، ج3، ص91.
9. مختار عطية، الإطناب في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2008م، ص75.
10. محمد العيد آل خليفة، نبتغي العيش في الجزائر حراً، جريدة البصائر، ج3، مصدر سابق، ص91.
11. محمد بن مبارك الملي: نشأة التاريخ الإسلامي، جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، 1948_1949م، عدد 46 - 90 دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2006، ج2، ص16.
12. عبد الحميد بن باديس: كلمات خالدة، (سياسة صريحة في كلمة صريحة)، جريدة البصائر، السنة السادسة من السلسلة الثانية، 1953-1954م، العدد 226-دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006م، ج6، ص11.
13. محمد البشير الإبراهيمي، وإبراهيم بيوض، والطيب العقبي وفرحات عباس: نداء وتحذير إلى الشعب الجزائري المسلم العربي، السنة الثانية من السلسلة الجديدة، 1948م، العدد 18-45، المدير وصاحب الامتياز المسؤول محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006م، ج1، ص239.

14. الطيب العقبي: الإسلام دين الله الخالد، جريدة البصائر الأولى، السنة الأولى جانفي 1935 - ديسمبر 1937م، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، العدد 3، ص 21
15. عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، مقالات اجتماعية تربوية دينية سياسية، إعداد وتصنيف: عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط3، 1997م، ج4، ص 173.
16. عبد الكريم العقون: بني العرب هذا يومكم، جريدة البصائر، السنة الثانية من السلسلة الجديدة، 1948، العدد 40، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006، ج1، ص338
17. ابن باديس: كلمات خالدة (الطريقة)، جريدة البصائر، ج6، مصدر سابق، ص5
18. عشراقي سليمان، ابن باديس، التحول من برزخية القول إلى حضور الفعل، ملامسة لفقه سياسة الإصلاح وإصلاح السياسة، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2010، ج2، ص 274
19. ينظر: فيليب بلونشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار، سورية، ط1، 2007، ص188
20. محمد الشيوخي: التربية أساس التعليم، جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، السنة الثانية من السلسلة الجديدة، 1948-1949، العدد 46-90، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006، ج2، ص16
21. محمد بن مبارك الملي: التاريخ الإسلامي، جريدة البصائر، مصدر سابق، ص16
22. خليفة بوجادي، مقارنة بين التداولية والشعر مع محاولة تاصيلية في التراث العربي، مرجع سابق، 2012، ص74
23. محمد البشير الإبراهيمي، ذكرى 8 ماي، جريدة البصائر، السنة الثالثة من السلسلة الجديدة، 1949-1950، العدد 119، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006، ج3، ص239
24. أحمد توفيق المدني: أفضع جرائم الاستعمار، جريدة البصائر، ج6، مصدر سابق، ص329
25. العربي التبسي: دين في ذمة الله يقضى، جريدة البصائر، السنة الثانية من السلسلة الجديدة، 1948، العدد 44، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006، ج1، ص 91
26. عبد الحميد بن باديس: كلمات خالدة (الخلافة أم جماعة المسلمين؟)، جريدة البصائر، ج6، مصدر سابق، ص11
27. عبد الحميد بن باديس: أيتها الحرية المحبوبة، أين أنت في هذا الكون؟، ج6، مصدر سابق، ص6
28. حمو الحاج ذهبية، البعد التداولي للسخرية في الخطاب القصصي الجزائري، مجلة الأثر، ورقلة، العدد 17، 2013م، ص17
29. أحمد رضا حوحو: ساعة مع حمار الحكيم، جريدة البصائر، السنة الثانية من السلسلة الجديدة، 1948-1949، العدد 46-90، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006، ج2، ص151

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

- * مجموعة جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (السلسلة الأولى)
- (1) - السنة الأولى، ديسمبر 1935-جانفي 1937م، العدد من 1 إلى 50، مدير الجريدة ورئيس التحرير الطيب العقبي، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة-الجزائر.
 - * جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (السلسلة الثانية)
 - (2) - السنة الأولى من السلسلة الجديدة، 1947م، العدد 1-17، المدير وصاحب الامتياز المسؤول محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006، ج1.
 - (3) - السنة الثانية من السلسلة الجديدة، 1948-1949م، العدد 46-90، المدير وصاحب الامتياز المسؤول محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006، ج2.

- (4) - السنة الثالثة من السلسلة الجديدة، 1949 - 1950م، العدد 91-135، المدير وصاحب الامتياز المسؤول محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006م، ج3.
- (5) - السنة السادسة من السلسلة الثانية، 1953 - 1954م، العدد 226-270، المدير وصاحب الامتياز المسؤول محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006م، ج6.
- (6) - السنة الثامنة من السلسلة الجديدة، 1955 - 1956م، العدد 317-361، المدير وصاحب الامتياز المسؤول محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006م، ج8.

ثانياً: المراجع

- 1- ينظر أحمد عبد الرحمن، العلاقة بين اللغة والفكر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985م.
- 2- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مقارنة بين التداولية والشعر مع محاولة تأصيلية في التراث العربي، دراسة تطبيقية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012م.
- 3- محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، 1952 - 1954 م، جمع وتقديم نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م، ج4.
- 4- مختار عطية، الإطناب في القرآن الكريم، دراسة بلاغية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2008م.
- 5- عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، مقالات اجتماعية تربوية دينية سياسية، إعداد وتصنيف: عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، ط3، 1997م، ج4.
- 6- عشراقي سليمان، ابن باديس، التحول من برزخية القول إلى حضور الفعل، ملامسة لفقه سياسة الاصلاح وإصلاح السياسة، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2010م، ج2.
- 7- فيليب بلونشييه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار، سورية، ط1، 2007م، ص188.
- 8- نجم الدين قادر كريم الزنكي، نظرية السياق، دراسة أصولية، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2006م.

ثالثاً: المقالات:

- 1- حمو الحاج ذهبية، البعد التداولي للسخرية في الخطاب القصصي الجزائري، مجلة الأثر، ورقلة، العدد 17، 2013م.
- 2- فطومة لحمادي: السياق والنص، استقصاء دور السياق في التماسك النصي، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، العدد الثاني والثالث، جانفي - جوان 2008م.